القضية الأفغانية : حلقة الاقتتال المفرغة

مقدمة:

القتال ليس جديدًا على الشعب الأفغانى؛ فقد تصدى أبناؤه لغزو قوة عظمى لبلادهم فى ديسمبر ١٩٧٩، وظل الأفغان يقاتلون الاتحاد السوفيتى على مدى عشرة أعوام أطلق خلالها على من قاموا بتنظيم أنفسهم عسكريًا من الأفغان اسم "المجاهدين"، وكان الكفاح مجيدًا وفعالًا حتى أن الكثيرين من المحللين أشاروا لأن بداية تفكك الاتحاد السوفيتى كانت القرار الذى اتخذه بغزو أفغانستان. وبعد خروج السوفيت عام ١٩٨٩ استمر المجاهدون فى قتال حكومة نجيب الله الموالية للسوفيت حتى استطاعوا الاستيلاء على العاصمة كابول عام ١٩٩٢ لتبدأ مرحلة الاقتتال بين إخوة الجهاد بالأمس الذين تحولوا إلى جماعات متصارعة متنافسة تتبدل تحالفاتها وانتماءاتها بسرعة متناهية، ويسعى كل قائد جماعة لتحقيق مصلحته الخاصة دونما أدنى اعتبار أو تقدير لمعاناة الشعب الأفغانى الذى جرى تصنيفه كأحد أفقر شعوب العالم.

واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٩٩٦ حينما استطاعت مجموعة من طلاب الشريعة أطلق عليهم اسم "طالبان" الاستيلاء على كابول، ولم يمر سوى عامين حتى استطاعت الحركة الاستيلاء على نحو ٩٠% من أراضى أفغانستان لتصبح القوة الأولى فى بلد فقد بنيته الأساسية ويحتضن نحو ٣٠ مليون لغم بين أراضيه.

سياسة الجغرافيا:

تقع أفغانستان فى قلب آسيا وتحتل موقعًا استراتيجيًا هامًا جعل منها دومًا وعلى مر التاريخ ملتقى التجارة بين الشرق والغرب،ومعبرًا للغزاة والمستعمرين من الشرق والغرب والشمال، ولا تملك أفغانستان أية مواقع مطلة على المياه الدولية فهى دولة حبيسة بين ٦ دول هى: باكستان وإيران والصين وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان.

وتشير حقائق الجغرافيا والتاريخ لأنها كانت - وما زالت – منطقة عازلة بين مصالح عدة قوى عالمية كروسيا القيصرية والإمبراطورية البريطانية وقتما كانت تحتل الهند، ومصالح قوى إقليمية كالإمبراطورية الفارسية (إيران حاليًا) وباكستان.

والمنطقة العازلة لا تعرف الاعتدال أو الوسطية، فهى إما منطقة خاملة ساكنة يعزف جيرانها عن الاهتمام بها والتدخل فيها، أو أن تكون محلا لتفاعلات كثيفة وأحداث معقدة حينما ينوى أحد هؤلاء الجيران مد نفوذه إليها، لذلك كان الحياد مبدءًا أساسيًا رفعه حكام أفغانستان، فحاولوا الحفاظ على حياد بلادهم

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مدركين حساسية موقعها الجغرافى. وحينما يختل العمل بهذا المبدأ–إما لعوامل داخلية،أو لعدم القدرة على الوقوف أمام مطامع جار قوى –كالاتحاد السوفيتى مثلًا– كان يحكم على أفغانستان أن تنتقل من موقف المحايد إلى وضع التابع.

الغزو السوفيتى:

جاء الغزو السوفيتى لأفغانستان تنفيذًا لوصية للقيصر الروسى بطرس الأكبر نصت على: أيًا كان من يخلفنى، عليه أن يزحف جنوبا نحو القسطنطينية والهند، لأن من يخضع هاتين المنطقتين ستكون له السيادة الحقيقية على العالم(١).

وعملًا بهذه الوصية عمل الروس دائمًا على مد نفوذهم إلى أفغانستان معبرهم إلى الجنوب، وسعت روسيا لاستغلال فرصة الحروب المتكررة بين دولة الأفغان وبين الإنجليز فى الهند وقامت بتقديم العون العسكرى للأفغان وعقدت معهم معاهدة عام ١٨٧٨ تضمنت تعهد الروس بمساعدة الأمير "شير على خان" فى الحرب ضد الإنجليز وأن يجعل الروس الأسلحة والمهمات العسكرية تحت تصرف أفغانستان(٢).

واستمر التغلغل الروسى طيلة قرن من الزمان ليتوج بالتدخل العسكرى السوفيتى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ بعد أن كان الاتحاد السوفيتى قد نجح فى تهيئة البيئة الداخلية لذلك التدخل عبر تدبير عدة انقلابات فى أفغانستان جعلت الحكم فيها شيوعيًا. وقد جرى تصنيف دوافع ذلك التدخل إلى دوافع مباشرة وأخرى بعيدة الأجل. وحدد الهدف المباشر برغبة الاتحاد السوفيتى فى تجنب اندلاع صحوة إسلامية فى أفغانستان كالتى حدثت فى إيران بعد الثورة الإسلامية فيها عام ١٩٧٩، أما الأهداف البعيدة الأجل فقد كانت موجهة إلى الصين التى فسرت الشيوعية تفسيرًا خاصًا يختلف عن التفسير السوفيتى، وكذلك رغبة موسكو فى الوصول للمحيط الهندى والخليج العربى، بما يعنيه ذلك من إمكانية تهديد مصالح أروبا الغربية– *وقتئذ*– واليابان التى يمر الجانب الأكبر من وارداتها البترولية عبر مضيق هرمز والذى سيصبح فى متناول الطائرات السوفيتية عندئذ(٣).

خسائر الشعب الأفغانى من التدخل:

يقدر البعض عدد القتلى بمليون مواطن أفغانى، فضلًا عن مقتل نحو ١٠٠ ألف من رجال المقاومة الأفغانية، ووصل عدد الجرحى والمشوهين إلى نحو ٢ مليون مواطن، بالإضافة للمهاجرين الأفغان الذين وصل عددهم إلى خمسة ملايين اتجه ٣ مليون منهم إلى باكستان، و٢ مليون إلى إيران، و١٥٠ ألف اتجهوا نحو الغرب و٥٠ ألف اتجهوا نحو الجزيرة العربية(٤).فضلًا عن تدمير البنية الأساسية فى أفغانستان.

الخريطة الداخلية للشعب الأفغانى:

يمكن القول أن محتوى تلك الخريطة وتقاطعاتها مع خريطة القوى الخارجية التى لها مصالح فى أفغانستان يمثل الوقود الأساسى لاستمرار الحرب الأهلية فى أفغانستان.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ويصل عدد الجماعات العرقية التى تتكون منها أفغانستان إلى حوالى ٢٥ جماعة أهمهم خمسة جماعات هم: البوشتون والطاجيك والأوزبك والهزارة والإيماك.

والبوشتون هم الجماعة العرقية السائدة فى أفغانستان وهم حكامها التاريخيون وتتراوح تقديرات نسبتهم إلى عدد السكان بين ٤٥-٦٠%، ويتحدثون لغة البشتو ويدينون بالمذهب الحنفى. ويمثل البشتون أكبر تجمع قبلى موجود فى العالم اليوم إذ يصل عددهم إلى نحو ١٧ مليون مواطن يعيشون على طول الحدود الأفغانية _ الباكستانية، وفى الجنوب والجنوب الغربى والوسط وشرق أفغانستان.

أما الطاجيك فيكونون ٢٥% من السكان، ويرتبطون بدولة طاجيكستان التى تقع إلى الشمال من أفغانستان.

أما الأوزبك فتتراوح نسبتهم بين ٥%، ١٠% من السكان ويتركزون على حدود أوزبكستان. أما الجماعات الشيعية فتعد الهزارة من أكبرهم ويتركزون فى وسط البلاد ويشكلون نحو ١٠% من عدد السكان. ويكون الإيماك ١٠% من السكان ويتركزون فى غرب أفغانستان.

أما بالنسبة للمذهب، فيشكل الحنفيون السنة ما بين ٨٠-٨٥% من السكان والباقى من الشيعة الإسماعيليين.(٥)

فصائل المقاومة الأفغانية وجذور الحرب الأهلية:

جاء تصدى الشعب الأفغانى للغزو السوفيتى فى صورة فصائل للمقاومة مختلفة التوجهات موحدة الهدف. وظهر منذ بداية العمليات أن هناك ضرورة تطرح نفسها وهى توحيد فصائل المقاومة التى تنوعت انتماءاتها بين قومية ويسارية ودينية متشددة ودينية معتدلة.

وكانت أبرز الفصائل التى تم توحيدها هى الفصائل الدينية التى توحدت تحت اسم (اتحاد المجاهدين الأفغانيين الإسلامى)، كما أن تلك الفصائل كانت الأكثر بروزًا فى حركة المقاومة التى انطلقت من إقليم بيشاور الباكستانى. ووصل عدد الفصائل فى البداية إلى أكثر من ٨٠ فصيلًا وتحت ضغط السلطات الباكستانية أمكن دمج الفصائل الدينية السنية فى ٧ جماعات رئيسية جرى تصنيفها إلى ٣ فئات؛ تقليدية وإصلاحية وأصولية، وأهم الجماعات السنية هى: حزب إسلامى بزعامة قلب الدين حكمتيار وكان أقواها وأكثرها تنظيمًا، والجمعية الإسلامية بزعامة برهان الدين ربانى ويعد أحمد شاه مسعود أبرز قادتها العسكريين، والاتحاد الإسلامى بزعامة عبد رب الرسول سياف. وإلى جانبها أحزاب تقليدية صغيرة مثل الجبهة الإسلامية الوطنية بزعامة أحمد جيلانى، وجبهة التحرير الوطنى وتزعمها صبغة الله مجددى، وحركة الانقلاب الإسلامى بزعامة محمد بن محمدى.

أما أحزاب الشيعة ومنها حزب الوحدة، وحركة نصر وحركة الشورى والاتفاق وحرس الجهاد فقد كانت ضعيفة مقارنة بالأحزاب التى سيطرت عليها باكستان(٦).

مراحل الحرب الأهلية:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يمكن تقسيم المراحل التى مرت بها الحرب الأهلية الأفغانية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

من الانسحاب السوفيتى فى فبراير ١٩٨٩ إلى سقوط حكومة نجيب الله فى إبريل ١٩٩٢. وقد شهدت هذه المرحلة بداية التحالفات العلنية والسرية بين فصائل المجاهدين الذين بدوا واثقين من النصر، وحدثت فى هذه المرحلة خلافات عديدة بين فصائل المجاهدين حول سبل مواجهة حكومة نجيب الله وكيفية التعامل مع المبادرات المتعددة التى أطلقها لتسوية الوضع بعد انسحاب السوفييت.

المرحلة الثانية:

من سقوط نجيب الله إلى ظهور حركة طالبان أوائل عام ١٩٩٥. وقد مثل التنافس المرير بين حكمتيار ومسعود على أسبقية دخول كابول البداية المعلنة للحرب الأهلية، إذ استطاع مسعود بالتحالف مع عبد الرشيد دوستم أحد أبرز كبار القادة العسكريين الداعمين لنظام نجيب الله دخول كابول فى الوقت الذى وصلت فيه بعض من قوات حكمتيار للقصر الرئاسى ليشهد يوم انتصار المجاهدين معركة دامية بين رفقاء السلاح.

وتدخلت باكستان ومارست ضغوطًا شديدة على الأطراف المتصارعة ليوافقوا على التفاوض الذى أسفر عن توقيع اتفاقية بيشاور (إبريل ٩٢). وقد عملت الاتفاقية على التوصل لصيغة يتم بمقتضاها تقاسم السلطة فى البلاد بشكل مؤقت تمهيدا لإجراء انتخابات عامة؛ إذ نصت الاتفاقية على تولى صبغة الله مجددى رئاسة الدولة بصورة مؤقتة يليه برهان الدين ربانى، وأن يتولى حكمتيار رئاسة الوزارة لمدة ٦ شهور على أن يتولى أحمد شاه مسعود وزارة الدفاع المدة نفسها. وقد رفض حكمتيار وكذلك الأحزاب الشيعية المدعومة من إيران التوقيع على الاتفاقية. ولم يكتف حكمتيار بإعلان الرفض شفهيًا وإنما دعمه بمهاجمة العاصمة كابول عدة مرات، وأصبحت كابول مسرحًا للقتال ولقى نحو ٥٠ ألفًا من سكانها مصرعهم بسبب القتال الدائر بينما فاق عدد الجرحى ١٥٠ ألفا، وترك مئات الآلاف من سكانها المدينة(٧).

وفى مارس١٩٩٣ بذلت منظمة المؤتمر الإسلامى جهودًاحثيثة تدعمها فى ذلك المملكة العربية السعودية من أجل التوصل لوقف إطلاق النار وبالفعل تم التوصل لاتفاق فى مكة المكرمة فى ١٢ مارس بين المجاهدين وحضر التوقيع الملك فهد ورئيس وزراء باكستان وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى.وأسند الاتفاق للمنظمة مسئولية مراقبة وقف إطلاق النار، وبالفعل اتخذت المنظمة عدة خطوات لهذا الغرض منها تعيين ممثل خاص للأمين العام لشئون أفغانستان ومندوب دائم للمنظمة فى إسلام أباد ولجنة خاصة لمتابعة أوضاعها وإنشاء آلية لتنفيذ الاتفاق وتكليف البنك الإسلامى للتنمية بالمساهمة فى إعادة الإعمار. إلا أن الأطراف المتحاربة فضلت استكمال القتال سعيًا وراء الفوز بالكعكة كلها.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وفى صيف وخريف ١٩٩٣ كان القتال يدور أساسًا بين حزب الوحدة الشيعى الذى تسانده إيران، والاتحاد الإسلامى بقيادة عبد الرسول سياف الذى تسانده السعودية بالدعم المالى.

وفى ١٩٩٤ اندلع القتال بين قوات حكمتيار ومسعود وشهد القتال تبديلًا للتحالفات حيث انضم عبد الرشيد دوستم *الحليف السابق لمسعود* إلى حكمتيار. وفى وسط تلك الظروف بدأت الأمم المتحدة جولة من أجل التوصل لتسوية سلمية، وبعد جهود مكثفة فى الفترة من أكتوبر ٩٤ وحتى مارس ٩٥ تم التوصل لخطة شملت العديد من النقاط أهمها:

- إنشاء لجنة يناط بها إعلان وقف فورى وغير مشروط لإطلاق النار.

-عقد اجتماع للمجلس الموسع (يشبه برلمانا للقبائل) خلال شهرين يختار رئيس مؤقت يعطى موافقته على تشكيل الحكومة[٨].

وقد اعترض ربانى-رئيس أفغانستان وقتئذ- على الخطة بسبب مشاركة دوستم فيها، وهذا ما دفع الأخضر الإبراهيمى مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة فى أفغانستان لتحميل ربانى مسئولية فشل مهمته، وبدا أن الموقف قد تجمد عند هذه النقطة.إلا أن قوة جديدة مفاجئة هى حركة طالبان غيرت الخريطة على غير توقع.

المرحلة الثالثة:

تبدأ منذ ظهور طالبان حتى الآن. وكلمة «**الطالبان**» تعنى باللغة المحلية الأفغانية طلبة المدارس الشرعية الأهلية الأفغانية، وهى جمعية دينية تفرعت عن جمعية دينية باكستانية هى جمعية علماء الإسلام.ويطلق لفظ طالب على المتعلم فى هذه المدارس، ولفظ الملا على من يكمل النصاب التعليمى ويتلقى إجازة للتدريس[٩]. ويعلن أفراد الجماعة أن نشأتها جاءت كرد فعل تلقائى للاقتتال بين فصائل المجاهدين مما أدخل البلاد فى دوامة لا متناهية من الاقتتال. وأهم المبادئ التى تتبناها الجماعة وتعتبرها تمييزًا لها عن باقى الفصائل هى:

١- إقامة حكومة إسلامية على نهج الخلافة الراشدة.

٢- قلع جذور التعصبات الإثنية والقبلية.

٣- التركيز على الحجاب الشرعى للمرأة والإلزام به.

٤- أسلمة اقتصاد الدولة والاهتمام بالتنمية فى جميع المجالات.

٥- تكوين هيئات للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقد شاب ظهور الحركة نوع من الغموض،إذ تناقلت الصحف الباكستانية فى سبتمبر ١٩٩٤ بصورة غامضة أنباء إنقاذ قافلة باكستانية مكونة من ٣٠ شاحنة متوجهة إلى وسط آسيا على يد مجموعة من طلاب مدارس الشريعة. وفى يناير ١٩٩٥ أعلن عن أن طلاب تلك المدارس قد استولوا على مقاطعة قازانى فى شرق البلاد.وبحلول مارس ١٩٩٥ كانت طالبان تسيطر على ثلث الأراضى الأفغانية وأصبحت قواتها على مشارف كابول وهزمت قوات حزب الوحدة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الشيعى وقتلت قائدهم على مزارى.أما حكمتيار فقد أخلى مواقعه فى جنوب كابول وهرب ناحية الشرق.ونجحت قوات شاه مسعود فى البداية فى إبعاد قوات الطالبان عن العاصمة إلا أن الطالبان تقدمت مرة أخرى نحو كابول(١٠).

وفى سبتمبر ١٩٩٦ استولت الطالبان على كابول وهرب ربانى وشاه مسعود نحو الشمال إلى وادى بانجشير معقل مسعود، واستهلت قوات طالبان دخولها كابول باقتحام مقر بعثة الأمم المتحدة فى كابول والقبض على الرئيس الأسبق نجيب الله وأخيه وشنقتهما علناً فى شوارع كابول.

ويفسر المراقبون الصعود السريع لحركة طالبان بـ:

١- الصراعات التى شهدتها أفغانستان سواء داخل الفصائل الأفغانية أو بين بعضها البعض، فضلاً عن سوء ممارساتها داخل مناطق نفوذها.

٢-شيوع صورة عن الطالبان كطلبة علوم شرعية لا يهدفون لتحقيق مصالح خاصة بقدر ما يسعون إلى تحقيق مصالح عامة تتلخص فى تخليص البلاد من حالة انعدام الأمن والاستقرار.

٣-تأييد عدد كبير من مشايخ الدين الأفغان لهم على اعتبار أن المجاهدين أفسدوا الدين والعقيدة وانصرفوا لتحقيق مصالح خاصة بهم.

٤-الدعم الذى لقيته الحركة فى بدايتها من الأهالى وبعض حكام الأقاليم ومن عدد من المجاهدين فى البداية أمثال ربانى وسياف إذ اعتقدوا أن الحركة ستكون ضد حكمتيار(١١).

٥- الدعم القوى الذى قدمته باكستان والولايات المتحدة للحركة الذى يشمل المعدات العسكرية والأموال والتدريب العسكرى.

وإذا كانت العوامل السابقة قد ساعدت على الصعود السريع للحركة فإن هناك عوامل أخرى ساعدت على استقرارها وأمدتها بقوة دفع مكنتها من فرض نفسها على الساحة حتى الآن وهى:

١ -مساعدة القبائل البشتونية للطالبان وهو أمر ينبع من أن القبيلة والعائلة فى أفغانستان هى محل الانتماء الأول.

٢ ٢-مساعدات مالية تتلقاها الحركة من عدد من التجار الأثرياء الأفغان الذين يساعدونها بسبب إزالتها حواجز الضرائب التى كان يفرضها المسلحون التابعون لعدد من فصائل المجاهدين، فضلاً عن قضائها على عدد من العصابات المسلحة.

٣ ٣- تجارة الأفيون حيث تعد أفغانستان أكبر منتج للأفيون الخام فى العالم

٤ ٤-العائد المنتظر من اتجاه عدد من شركات النفط العالمية لتوقيع اتفاق مع قادة الحركة تتعلق بالسماح لها بالعمل فى بعض المناطق التى تسيطر عليها

القدرات العسكرية لطالبان:

وقد مكن الدعم الخارجى والتأييد الداخلى للحركة من قدرتها على حشد قوات عسكرية لا تقل عن ٢٠٠ ألف مقاتل فضلاً عن امتلاكها دبابات القتال الرئيسية وعربات استطلاع

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

مدرعة وناقلات جنود مدرعة ومدفعية ميدان وهاون.

كما تمتلك طائرات قتال روسية فلديها حوالى ٣٠ مقاتلة من طراز ميج ٢٣، و٨٠ مقاتلة من طراز سوخوى[١٢].

خريطة القوى الخارجية الفاعلة فى القضية الأفغانية:

وقد آثر الباحث استعراض الخريطة بعد الحديث عن حركة طالبان بهدف الربط بين مصالح تلك القوى وبين الأوضاع بعد ظهور طالبان واستقرارها إذ أن شكل التعبير عن هذه المصالح يختلف حسب نوع الجهة التى تسيطر على كابول، ويستطيع المدقق فى خريطة أفغانستان أن يتعرف منذ اللحظة الأولى على الدول التى يمكن لها التأثير على مجريات الأمور فى أفغانستان وان اختلفت درجة التأثير.

فأفغانستان محاطة بست دول هى: باكستان وإيران وتركمنستان وأوزبكستان وطاجيكستان والصين. إلا أن المصالح لا تعرف الحدود فنجد أن هناك دول أخرى لا تجاور أفغانستان ورغم ذلك تلعب دورًا هامًا فى تشكيل وتغيير الخريطة السياسية فى هذا البلد وعلى رأس هذه القوى الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

وفيما يلى نستعرض أدوار أهم القوى المؤثرة:

باكستان: ترتبط بأفغانستان عبر العرق والجوار الجغرافى والتأثير التاريخى، وقد شهدت سنوات الحرب الباردة توترا بين البلدين خاصة عند كل مرة أثار فيها حكام كابول مشكلة إقليم باشتون ستان المتنازع عليه مع باكستان. وقد دعمت باكستان الجهاد الأفغانى ضد السوفييت، وبعد الانسحاب السوفيتى استمرت فى مواصلة دورها المؤثر عبر تدعيم الفصائل الموالية لها؛ فدعمت حكمتيار فى البداية ثم استبدلته بطالبان. وتشير الدلائل إلى أن المخابرات الباكستانية هى التى تولت تدريب عناصر طالبان وأمدتهم بالأسلحة والمتطوعين. وتحرص باكستان على وجود نظام موال لها فى أفغانستان؛ إذ يتحقق بذلك حلم بعيد كان يراود إسلام أباد حيث أنه منذ نشأة باكستان عام ١٩٤٧ لم تكن لدى أية حكومة أفغانية ميول نحو باكستان[١٣]. كما تعمل باكستان على تحقيق تطلعاتها الاقتصادية فى آسيا الوسطى من خلال استخدام أفغانستان كمعبر يصلها بأسواق آسيا الوسطى وقبيل الإنقلاب الذى أطاح بالحكومة الباكستانية برئاسة نواز شريف فى ١٢ أكتوبر الماضى تواردت أنباء عن أن الولايات المتحدة قد اتفقت مع نواز شريف على الحد من دعم باكستان لطالبان والضغط عليها من أجل الموافقة على إبعاد بن لادن، وأيًا ما كانت صحة هذه الأنباء فإن قائد الانقلاب الجنرال برويز مشرف أعلن فور وقوع الانقلاب عن استمرار تأييد بلاده لأفغانستان بما يعنى ضمنًا استمرار دعم طالبان.

إيران: تجاور أفغانستان من الغرب، وتعتبر نفسها مسئولة عن حماية الأقلية الشيعية فى أفغانستان، ولا تشعر إيران بالأمن أو الارتياح

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

من وجود حكومة طالبان فى كابول إذ تخشى أن تكون الطالبان مجرد مقدمة تفتح الباب لتغلغل النفوذ الأمريكى فى المنطقة. وكادت إيران تدخل فى مواجهة عسكرية مع طالبان أواخر العام الماضى حيث اتهمتها إيران بمسئوليتها عن مصرع دبلوماسييها حينما دخلت قوات الحركة مدينة مزار الشريف وقد أمكن احتواء الأمر بعد أن سلمت الحركة جثث الدبلوماسيين الإيرانيين ووعدت بمحاكمة المسئولين عن قتلهم.وتعمل إيران على إحياء طريق الحرير الذى يجعل من طهران حلقة وصل بين جمهوريات آسيا الوسطى والجانب الغربى من الكرة الأرضية عبر أفغانستان.إلا أنه فيما يبدو أن طهران بدأت تغير من وجهة نظرها إزاء الحركة بعد رفض الحركة الاستجابة للمطالب الأمريكية بشأن بن لادن فأعلن عن فتح الحدود المغلقة بين البلدين منذ شبح المواجهة العسكرية بينهما.

المملكة العربية السعودية:

كانت السعودية هى ثانى دولة بعد باكستان تعترف بحكومة طالبان كما أنها من أهم الدول التى ساندت المجاهدين بالمساعدة المادية إبان كفاحهم ضد السوفييت،كما استضافت مؤتمر المصالحة الذى عقد عام ٩٣، وهناك دلائل عديدة على أن السعودية ما تزال تدعم طالبان وإن كانت قد قامت هذا العام بسحب القائم بالأعمال السعودى من كابول وطلبت من طالبان استدعاء القائم بالأعمال الأفغانى من الرياض ردا على رفض طالبان تسليم بن لادن للولايات المتحدة أو إبعاده من أفغانستان، ورغم ذلك فلا يوجد ما يشير لأن السعودية قد أوقفت دعمها لطالبان.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

روسيا الاتحادية ودول آسيا الوسطى:

تولى روسيا الوضع فى أفغانستان اهتمامًا كبيرًا، وقد تأثرت باستيلاء طالبان على السلطة؛ إذ تنظر روسيا بقلق إلى النموذج الذى تسعى طالبان إلى تحقيقه، وتعتبر روسيا أن لأسامة بن لادن الذى تحتضنه طالبان دورًا مؤثرًا فى إثارة النزعات الانفصالية ذات الطابع الإسلامى فى الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة ضمن حدود روسيا. وتروج روسيا لاستنتاجات مؤداها أن ما حدث فى الشيشان وداغستان هو جزء من مخطط وضعه بن لادن لإقامة جمهورية إسلامية كبرى تشمل الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة فى روسيا، لذلك تعد روسيا المورد الرئيسى للسلاح لتحالف المعارضة بقيادة أحمد شاه مسعود، كما تضع فرقة مسلحة ترابط على الحدود الطاجيكية الأفغانية لمنع امتداد ما تعتبره خطرًا أصوليًا خارج حدود أفغانستان.

أما دول آسيا الوسطى فتتماشى مواقفها من طالبان إلى حد كبير مع السياسة الروسية وإن كانت تفضل أن يسود الاستقرار فى أفغانستان وأن تتوقف طالبان عن مد نفوذها إليها، لذلك استضافت كل من تركمنستان وأوزبكستان محادثات سلام بين طالبان وتحالف المعارضة لم تسفر عن شىء ذى قيمة.

الولايات المتحدة الأمريكية:

يشير المحللون إلى أن الولايات المتحدة قدمت الدعم لحركة طالبان منذ بداية ظهورها رغبة منها فى أن تسيطر الحركة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضى الأفغانية وتقوم بترحيل الأفغان العرب المقيمين على الأراضى الأفغانية وتكافح زراعة المخدرات بعد أن أصبحت أفغانستان حسب شهادة مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون جنوب آسيا فى يونيو ٩٦ تنتج ٣٢% من الأفيون المستخدم فى إنتاج الهيروين الذى يجرى تهريبه إلى الخارج بما فيه الولايات المتحدة. وبعد استيلاء طالبان على السلطة أقدمت على بعض الأفعال التى اعتبرتها الولايات المتحدة غير مقبولة، مثل إعدام الرئيس الأسبق نجيب الله وفرض الحجاب على النساء وإلغاء عمل المرأة خارج المنزل، ورفض تسليم أو إبعاد أسامة بن لادن الذى تعتبره الولايات المتحدة المسئول الأول عن أعمال استهدفت رعايا أمريكيين مثل انفجار الخبر والظهران وأخيرًا تفجير سفارتيها فى نيروبى ودار السلام فى أغسطس ٩٨.

ومع استمرار ما اعتبرته واشنطن تجاوزات من الحركة فى مجال حقوق الإنسان وخوفا من أن تمثل طالبان نموذجًا أصوليًا متشددًا وجهت واشنطن انتقادات حادة للحركة ودعت للدخول فى مفاوضات تضم جميع الفصائل الأفغانية وقيام حكم فيدرالى يتيح للأعراق المختلفة مساحة واسعة من الحكم الذاتى وإعادة تقسيم البلاد إداريًا على أسس عرقية وتحويل كافة السلطات الفعلية إلى الأقاليم المختلفة فى الدولة، وعودة الملك المخلوع ظاهر شاه إلى السلطة على رأس حكومة موسعة(١٤).

تطورات القضية الأفغانية فى عام ١٩٩٩:

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

يمكن لنا فى هذا الصدد الحديث عن مستويين: الأول التطورات على المستوى الخارجى، والثانى توازنات القوى على الساحة الداخلية.

على الصعيد الخارجى فقد كان الحوار الذى دار بين حركة طالبان وبين الولايات المتحدة الأمريكية حول مصير بن لادن نقطة تحول فى العلاقات بين الطرفين إذ وضح أن الحركة بدأت تدرك حجم الضغوط الأمريكية، وأن استقرارها فى الحكم يحتم عليها الوصول إلى تسوية ما مع الولايات المتحدة.وقد اختلفت نبرات الحوار بين الطرفين؛ ففى بداية العام كان يبدو أن الولايات المتحدة تفضل حلًا واقعيًا لقضية بن لادن يحفظ ماء وجه طالبان ويضمن للولايات المتحدة اقتناص بن لادن ولو فى المدى غير المنظور لذلك طلبت الولايات المتحدة من حركة طالبان إبعاد بن لادن إلى بلد آخر[١٥]، كما أعلن كارل إندرفورث مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون جنوب آسيا أنه لن تكون لأفغانستان أبدًا علاقات مع بقية العالم ما لم تطرد بن لادن إلى بلد يمكن أن يمثل فيه أمام العدالة [١٦]، وسعيا إلى تهدئة مخاوف طالبان من انحياز الولايات المتحدة فى النزاع الأفغانى أكد أن واشنطن ليست ضد أى تنظيم سياسى معين فى أفغانستان[١٧]، وقد ردت طالبان بإشارة مناسبة حينما أعلن الناطق باسم طالبان أن بن لادن غير مسموح له باستخدام الأراضى الأفغانية للقيام بأى نوع من النشاطات ضد دول أخرى[١٨].

وسرعان ما أعلنت طالبان أنها تدرس اقتراحات واشنطن وأنها مستعدة لحل مسألة بن لادن فى ضوء القانون الدولى[١٩].

حينذاك تزايدت تكهنات المراقبين عن وجود انقسام فى صفوف طالبان بشأن تسليم بن لادن إذ أشارت العديد من الأنباء إلى أن جهات من داخل حكومة طالبان تحمل الملا عمر زعيم الحركة مسئولية تهديد مستقبل الإمارة الإسلامية وعدم اعتراف العالم بها وذلك بسبب إصراره على احتضان بن لادن وأن حالة النقمة تلك قد زادت بعدما قدمت الولايات المتحدة عرضًا مغريًا يربط صفقة تسليم أو إبعاد بن لادن بتقديم مساعدات مالية واقتصادية وتسهيل الاعتراف الدولى بأفغانستان، وكذلك المساعدة على حسم الحرب مع أحمد شاه مسعود فى الشمال لفرض سيطرة طالبان على كل أفغانستان[٢٠].كما اعتبر أن محاولة الاغتيال التى تعرض لها الملا عمر زعيم الجماعة فى ٢٤ أغسطس من نفس العام بتفجير سيارة ملغومة قرب مقر الملا عمر المجاور لمنزل بن لادن دليل بارز على سعى الجهات المعتدلة فى الجماعة إلى"تسوية القضية بطريقة ما" لا تسبب إحراجا للجماعة التى سيمكنها حينئذ إلقاء تبعة الأمر على الولايات المتحدة.

إزاء هذا الانقسام تجنبت طالبان الرد المباشر على عرض الولايات المتحدة وأعلنت الحركة على لسان وكيل أحمد المتحدث باسمها أن بن لادن قد غادر مقر إقامته فى إقليم قندهار الأفغانى بإرادته ولأسباب غير معلومة،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ونفى علم الحركة بالمكان الذى يعيش فيه[٢١].ثم تواردت أنباء عن وصول بن لادن لقاعدة (تورا بورا) جنوب مدينة جلال أباد عاصمة الشرق الأفغانى التى تحظى بمناعة معروفة حيث استعصت على القوات السوفيتية طوال الجهاد الأفغانى وتحيط بها الجبال التى توفر لها حماية طبيعية، كما أن بها عددًا من صواريخ ستينجر وغيرها من الصواريخ المضادة للطائرات لمواجهة غارات جوية محتملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية[٢٢].

وجاء رد واشنطن بعد عدة أسابيع من إعلان الحركة عن اختفاء بن لادن حيث أعلنت أن "حركة طالبان تلعب لعبة خطيرة وغير حكيمة بادعائها أن القيادى الإرهابى بن لادن لم يعد تحت سيطرتها"[٢٣] وأضاف مساعد وزير الخارجية الأمريكى "أنه لا توجد دلائل على أن بن لادن قد غادر أفغانستان وأن الولايات المتحدة ستواصل الضغط من أجل طرد بن لادن من أفغانستان"[٢٤]، وإزاء التأكيد الأمريكى على استمرار وجود بن لادن فى أراضى خاضعة لطالبان أعلنت الحركة أن بن لادن لا يزال موجودًا على أراضيها ودعت واشنطن لإجراء مفاوضات لبحث مصيره وقد سبق هذا الإعلان فرض الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية على طالبان وتجميد أموالها فى الولايات المتحدة[٢٥].وجاء رد الفعل الأفغانى على لسان المتحدث باسم الحركة الذى أكد رفض الحركة لتسليم بن لادن، "وأننا لسنا ملزمين ولا توجد اتفاقية تسليم مع أى من حكومات العالم لتسليم متهم إضافة لذلك فلم تقدم الولايات المتحدة أى دليل يظهر ضلوعه فى عمل إرهابى"[٢٦]، وشهدت هذه الفترة تظاهرات ضخمة فى باكستان وأفغانستان نظمتها جمعية علماء الإسلام هددت فيها بقتل أمريكيين إذا شنت واشنطن هجمات ضد بن لادن وقال زعيم الجمعية فضل الرحمن " إن أى هجوم على أسامة سيعتبر هجومًا على الإسلام وباكستان وسوف يقاوم بكل قوة"[٢٧]. ولم تمض سوى أيام قليلة حتى ترددت أنباء عن هبوط طائرتين أمريكيتين محملتين برجال كوماندوز أمريكيين فى أحد المطارات بباكستان استعدادًا لعملية ضد بن لادن وتواكب ذلك مع تصريحات للسناتور الأمريكى أورين هاتش عضو لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ أكد فيها أن "واشنطن ستنجح فى القبض على بن لادن وستجعله عبرة لمن يعتبر"[٢٨] وقد ساعد فى تأكيد تلك الأنباء وصف ديفيد ليفى المتحدث باسم مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض لهذه الأنباء بأنها أنباء غير دقيقة وامتناعه عن نفيها[٢٩].وقد سارعت باكستان بنفى تلك الأنباء خوفًا من أن يفسر هذا الصمت بوجود صفقة سرية مع الولايات المتحدة ولا سيما بعد تصريحات زعيم الجماعة الإسلامية قاضى حسين أحمد أنه "إذا وقعت غارة أمريكية جديدة على بن لادن فسوف تسبب اضطرابات خطيرة فى باكستان، خصوصًا فى أعقاب الخيانة التى تعرض لها المجاهدون الكشميريون هذا الشهر نتيجة اتفاق إسلام أباد مع واشنطن،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وأضاف أن الحكومة خلقت متاعب لنفسها بموافقتها على اتفاق واشنطن وهذا التطور- الهجوم على بن لادن-سيكون نذيرًا بالموت لها"(٣٠).

وما لبثت أن عادت القضية لدائرة الضوء مرة أخرى، إذ تم الكشف عن سلسلة من اللقاءات المباشرة بين مندوبين عن الحركة وبين مندوبين عن وزارة الخارجية الأمريكية بغرض تسوية المسألة قبل موعد سريان العقوبات التى قرر مجلس الأمن فرضها على طالبان إذا لم تطرد بن لادن من أراضيها بحلول الرابع عشر من نوفمبر.ورغم رفض الحركة إبعاد بن لادن إلا أن العديد من المراقبين قد اعتبروا أن العروض التى تقدمت بها الحركة بشأن مصير بن لادن تعد تغيرًا نوعيًا فى موقف الحركة منه وأنها بدأت تدرك أنه يكاد يكون العقبة الوحيدة أمام تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، إذ عرضت الحركة فرض قيود إضافية على بن لادن ومراقبة تصرفاته فى أفغانستان من قبل أطراف خارجية مثل الأمم المتحدة أو منظمة المؤتمر الإسلامى إلا أن عروضها قوبلت بالرفض.

وبينما يترقب العالم اقتراب المهلة التى منحها مجلس الأمن فى ١٤ نوفمبر والتى يبدأ بعدها وقف الرحلات الجوية للطائرات التابعة للحركة وتجميد أرصدتها فى المصارف العالمية هزت سبعة انفجارات العاصمة الباكستانية إسلام أباد فى ١٢ نوفمبر إثر هجمات صاروخية استهدفت السفارة الأمريكية والمركز الثقافى التابع لها ومكاتب الأمم المتحدة فيما اعتبر رد فعل مبكر من جانب مؤيدى طالبان إزاء العقوبات الدولية.

على الصعيد الداخلى: تطورات الأوضاع ما بين توازنات القوى الداخلية وجهود إحلال السلام بداية فقد آثر الباحث الربط بين توازنات القوى الداخلية وبين جهود إحلال السلام انطلاقًا من فرضية مؤداها أن تلك الجهود لا يمكن لها أن تنجح طالما وقر فى اعتقاد أحد الأطراف أنه قادر على إحراز النصر. ولعل هذا هو السبب الحقيقى فى فشل محادثات السلام التى عقدت هذا العام مرتين الأولى فى تركمانستان والثانية فى أوزبكستان فى مارس ويوليو.

فرغم التوصل فى المؤتمر الأول إلى اتفاق شامل يقضى بتقاسم السلطة على المستوى التنفيذى والتشريعى والقضائى وتبادل الأسرى إلا أنه لم يكن له أى مردود على أرض الواقع.

وتلى فشل المؤتمر طرح فكرة عودة الملك السابق ظافر شاه لأفغانستان عبر مؤتمر يعقد فى روما للمصالحة الوطنية وبحث مستقبل البلاد، وقد أيدت الولايات المتحدة هذه الفكرة،بينما سارعت حركة طالبان بإعلان رفضها للفكرة عبر "صوت الاتحاد الإسلامى لأفغانستان " المعبر عن الحركة حيث اصدر بيانا جاء فيه " إن مشروع عودة الملك السابق إلى الحكم كوسيلة لحل الأزمة لن يزيد الطين إلا بلة، كما أن الشعب الأفغانى يعتبر ظافر شاه سببا لكل المآسى والويلات التى صبت

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

على رأسه، فقد كان الحاكم الأوحد لأفغانستان وفى ظله وبين يديه ضاعت البلاد والعباد"[٣١].

وفى يوليو عقد المؤتمر الثانى فى طشقند وانتهى هو الآخر دون نتيجة بسبب اختلاف الأوزان النسبية للأطراف المتفاوضة، إذ أنه فى حين ترحب المعارضة بالحوار فإن الدلائل تشير إلى أن طالبان لا تقبل الدخول فى مفاوضات إلا لأسباب تكتيكية تتلخص فى رغبتها فى ألا تظهر بمظهر الرافض للسلام مما يساهم فى زيادة عزلتها الدولية، أما السبب الآخر فهو التقاط الأنفاس استعدادًا لجولة جديدة من القتال تسمح لها بفرض سيطرتها على كافة أراضى أفغانستان.

وبعد حوالى أسبوع من فشل المباحثات فى طشقند شنت طالبان الهجوم المنتظر على معقل المعارضة فى وادى بانجشير استطاعت فيه استعادة قاعدة باجرام الجوية التى تقع على بعد حوالى ٥٠ كم شمال العاصمة بالإضافة للسيطرة على عدة مدن أخرى حول القاعدة.

إلا أنه كان من الواضح هذه المرة أن المعارضة تقاتل من أجل الدفاع عن وجودها وليس دفاعًا عن مدن أو أراضى إذ لم يبق فى حوزة المعارضة سوى مدينة رئيسية واحدة هى طالوقان إضافة لوادى بانجشير.

والحقيقة أنه رغم أن حجم قوات طالبان يقترب من أربعة أمثال قوات المعارضة إلا أن الأمر لا تفسره هذه المعادلة الحسابية فحسب، فقوات المعارضة تسيطر على منطقة الحدود الأفغانية الطاجيكية وهذا ما يسمح لها بمورد متدفق من السلاح الروسى القادم عبر الحدود الطاجيكية مما يزيد من قدرتها على الصمود،فضلا عن المهارة العسكرية التى اشتهر بها شاه مسعود منذ أيام المقاومة ضد السوفيت تلك المهارة التى مكنته من استعادة معظم الأراضى التى استولت عليها طالبان عدا قاعدة باجرام الجوية.

خاتمة:

والواضح أن الأمر سيظل على هذا المنوال إلى أن يتمكن الصمود العسكرى لقوات المعارضة متفاعلًا مع رغبة باكستانية إيرانية روسية أمريكية فى إقناع الأطراف المتحاربة بالدخول فى مباحثات سلام حقيقية.

وبعد.. فإن أهم شئ فى القضية الأفغانية هو أن يتحقق السلام فى هذا البلد الذى عانى من ويلات الحرب أكثر مما عانى شعب آخر خلال هذا القرن، فقد استمرت مأساته عشرين عامًا وربما تستمر أعوامًا أخرى إلا إذا أدرك أبناؤه أنهم وحدهم الخاسرون فى حرب لا تأكل إلا أبناءها ولا يخسر فيها غير شعب فقد نصف أبنائه بين قتيل وجريح وشريد،والواضح أن حركة طالبان قد استطاعت أن تثبت أقدامها فى الحكم وأن تقنع الجميع بما فيهم الولايات المتحدة أنها الطرف الوحيد القادر على فرض الاستقرار فى أفغانستان، بقى أن تستطيع الحركة طمأنة الأطراف التى لها مصالح فى أفغانستان على مصالحها وأن تبدأ بمعاونة الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامى عملية بناء الدولة الأفغانية الحديثة. وأخيرًا فليت جمال الدين الأفغانى الذى دعا يومًا لوحدة المسلمين يبعث

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

اليوم من جديد ليدعو هذه المرة إلى وحدة شعبه.

الهوامش:

(١) رالف ماجنوس، مشكلة أفغانستان، ترجمة صليب بطرس روفائيل مسيحة، القاهرة، ١٩٨٥، ٢٩٠،٢٩١.

(٢) د.حق شناس، العلاقات الأفغانية الروسية ١٨٢٦-١٩٨٤، ترجمة د.عفاف السيد زيدان، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى ١٦-١٩ نقلا عن د.إبراهيم عرفات (محرر)، القضية الأفغانية وانعكاساتها الإقليمية والدولية، مركز الدراسات الأسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.صـ ٤.

(٣) عماد عواد، المشكلة الأفغانية والحل السياسى، السياسة الدولية،العد ٨٤، صـ١٨٧.

(٤) د.جمال زهران، فى " القضية الأفغانية..."، مرجع سابق، صـ ٢٣، ٢٥.

(٥) د.لارى جودسون، فى المرجع السابق، صـ ٣٠٦،٣٠٧.

(٦) د.حسن أبو طالب،فى المرجع السابق، صـ ٧٨.

(٧) د. لارى جودسون، فى المرجع السابق، صـ ٣٠٣.

(٨) د.حسن أبو طالب، مرجع سابق، صـ ٣٠٣.

(٩) د.ماجدة على صالح، فى إبراهيم عرفات (محرر)، القضية الأفغانية...، مرجع سبق ذكره، صـ١٠٤.

(١٠) د.لارى جودسون، مرجع سابق، صـ ٣٠٤.

(١١) د.ماجدة على صالح،مرجع سابق،صـ ١١١.

(١٢) ملف الأهرام الإستراتيجي، السنة الخامسة، العدد ٥٧، سبتمبر ٩٩.

(١٣) د. مؤنس أحمر، فى: القضية الأفغانية...، مرجع سبق ذكره، صـ ١٥٤.

(١٤) د.عماد جاد، فى إبراهيم عرفات (محرر)، مرجع سابق،صـ١٨٤.

(١٥) الحياة، ٢٩-١-٩٩.

(١٦) الحياة، ٢٩-١-٩٩.

(١٧) الحياة،٢٩-١-٩٩.

(١٨) الحياة، ٢٩-١-٩٩.

(١٩) الحياة، ٨-٢-٩٩.

(٢٠) الوطن العربى، العدد ١١٧٤، الجمعة ٣-٩-٩٩، صـ ٥.

(٢١) الأهرام، ١٧-٢-٩٩.

(٢٢) الحياة، ١٧-٢-٩٩.

(٢٣) الأهرام، ١١-٣-٩٩.

(٢٤) الأهرام، ١١-٣-٩٩.

(٢٥) الأهرام، ١٠-٧-٩٩.

(٢٦) الأهرام،١١-٧-٩٩.

(٢٧) الأهرام، ٢٦-٧-٩٩.

(٢٨) الأهرام، ١٠-٨-٩٩.

(٢٩) الأهرام، ١٠-٨-٩٩.

(٣٠) الحياة، ١١-٨-٩٩.

(٣١) الشعب، ٨-٦-٩٩.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com